فاروق شوشة



وقت .. لاقتناص الوقت

وقت لاقتناص الوقت

الطبعة الأولى : ١٩٩٦
الغلاف للفنان مجدى نجيب

فاروق شوشة

وقت لاقتناص الوقت

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
(القاهرة)

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

المطابع ١٢ ش نوبار لاظوغلى – القاهرة ت: ٣٥٤٢٠٧٩

المكتبة: ١ ش كامل صدقى الفجالة – القاهرة ت. ٥٩٠٢١٠٧
٢ ش كامل صدقى الفجالة – القاهرة ت. ٥٩١٧٩٥٩

إلى

لؤلؤة

نادرة

تزين

صدر

حياتي

فاروق شوشة

عصفور الحلم

من يطلقُ عصفور الحلم ؟

من كُوَّة هذا الليل المُطبِق

والأفلاكِ المستلقية على جنبات اليمْ ؟

الأفق براحٌ للمعنى

والوقت السَّاجى نزْفٌ يسكن موسيقى

وهواجسُ هذا القلب بشائر غبطتنا الأولى

من يُشعِل هذا الكون حريقاً ، ودخانا

ويناطح صخر الجبل الأجرد حين يُطاولُ عُنقَ الليل ؟

حتى يتدفَّقَ زمنُ السَّيل

من يطلقُ عصفور الحلم ويصُمد فى واجهة الوَيل ؟

عصفور واحد

يخلع عنا هذا الزمن الجهم !

نيرانى تصنع أسلاكاً ممتدة

وأنا أتشابك فى دائرة الشوك وأمضى

يثقلُ رأسى إذ يحملنى

وينوء بكابوسي الليلىّ ،

وهذا السَّعف الأجرد بعد حريق النخل

أخطو ،

هذا زمنُ العمر المحْل ،

وهذى شرفةُ بركانٍ يثمرُ عدماً أسوْد

هل تتفيأ هذا الظلَّ

وتمعنُ فى حبل غوايتك العجلى

حاذرْ

قد ينقطعُ الحبل !

الأسلاكُ الممتدةُ ،

والبركانُ ،

وهذا الكابوسُ الليلىُّ ،

وهذا السَّعف الأجردُ

هذا العدمُ الأسودُ

هل تملكُ تفسيراً لهواجس هذا الليل الممتَدّ

وخيطاً مشدوداً للفهم ؟

من يُطلق عصفور الحلم ؟

عن القمر والعصافير

للعصافير أن تستريحَ ،

وأن تتأهب ثانيةً لاحتواءِ السماءِ

وأن تتطاير فى الأفْقِ

مثل نثارٍ بديدٍ من الضوءِ

يسقط فى شرفات الفضاء

ولها أن تُصفّق حتى النخاعِ

وأن تستثير حناجرها

مرةً للغناءِ

وآنا لشوْط البكاء

إنها الآن تمتلك اللحظة الفاصلة

وتجرّب موضعها في المسافة

بين السقوط إلى حافة الأفق المترنحّ

حيث يموت الشعاعُ

ودفع الجناحين صاعدةً

في مدار الهواءْ

ولمن هذه الغابةُ المشتهاةُ ؟

ومَنْ ساكنوها ؟

ومنْ ؟

ليس غير الرياح تجيبُ

وفى البعد عاصفةٌ تتجمّعُ

ليلٌ قَديمُ يُهلُّ ،

وأعشاش طيرٍ تمادَى

فأسرف فى زقزقات التفاؤلِ

حُلْمِ الأمانِ

وإسعادِ ألآلَفه باللقاء !

●●●

والقمر ...

ماله ساهماً !

والسّحابات ترتاحُ فوق الجبينِ

الذى لا يُبينُ

وتعبرهُ حين تُقلعِ فى اليمّ ،

فى زُرقةِ اللازوردْ

وتتركُ من خلفها شفقاً ذائباً

وبقايا حديثٍ قدِيم

إنه موعدٌ للصباباتِ

تفرخُ فيه النسورُ

وتنشقُّ فيه الجحورُ

ويرحل فيه الجَسُور

وراء النداءِ المراوغِ

خلْفَ الزمان المقيمْ

وفضاءٌ - كما يعشقُ اللهُ -

صَيادهُ شاخصٌ لا يريمْ

فى يديه الرصاصُ

وأنشوطةُ اللهو جاهزةٌ

والمنايا تحوم

وترفرفُ ،

حيث مضت تستحمُّ النجوم !

يا قمرْ ..

هل تظلُّ يُؤرقك العدلُ

ينتابُك الذعرُ

فى زمنٍ شائهٍ

ورجيم ... ؟

دع مكانَك ،

واهبط إلى حيث تأوى العصافيرُ

لاهثةً

واصطدمْ بالتخوم !

إن هذا الذى يتشكَّلُ

عبْرَ امتدادِ شعاعكَ

موقدُ جمرٍ

وحفريّةٌ من سدوم !.

بيني وبين البحر

بيني وبين البحر واجهةٌ مخضّبةٌ

وأُفْقٌ من رصاص

وروائح البارود مازالت

وأصداءُ المعاركِ

تحْتها الألغامُ كامنةٌ

وأقبيةُ اللصوص الوالغينَ

الغارسين بلحمنا وطناً

لأحقاد التواريخ التى سلفتْ

وقد بات اغتصاب الكونِ والأزمانِ،

وقْتاً للقِصاصْ ..

منْ يُسقطُ السدَّ المنيعَ

وقد تراكم بامتدادِ العمرِ ؟

إنَّ دم الضحايا يستحيلُ حجارةً

وجماجم الموتى تُطالعنا

وتُنبتُ فى حنايانا شجيرات من الشوكِ العصىِّ

ويدلفُ الوعد المراوغ بالسلامِ

ليسْحَر الحمقى ،

يهرولُ نحوه الجَمْعُ الشَّتيتُ

وقد تَمرغ فى الرّغامِ

ويسقطُ الشرفُ الرفيعُ

ولا مناص !

●●●

هذا طريق الموتِ

مفتوحٌ على لغةٍ تَعرَّى ساكنوها

فالهوانُ بلاغةٌ

وتراجعُ المدّ الجليل زعامةٌ

وخيانةُ الموتى

سبيلٌ للخلاص !.

كلام عن السلام ..

(إلى العدو الذى كان ... وما يزال)

كمْ تكابرُ ؟

بل تتوقع منى الذى لا أطيقُ !.

تدقُّ على البابِ

ينفتحُ البابُ

تصبحُ من زُمرة الأهلِ ،

متَّشحاً بالأمانِ

ومختلطاً بنجاوى العروق

ومتكئاً حيث كان لجدّى مكانٌ

لترشف قهوتنا

وتغنى حكاياتنا

ثم تحمل أسماءنا

وتسابقنا فى الحنين الذى لا يجفُّ

وفى فَوَحانِ ندًى لا يُفيق !

تتوقع منى الذى لا أطيقُ

وقد صِرْتَ فى داخل البيت

تَلْقى سماسرة يُهرعون

أدلاء للركب يستبقون ..

وتلقى الذين يبيعون أوطانهم

جاهزين

وقد شربوا سلفاً دمها ..

واستذلوا جرانيتها

ثم عاثوا فسادا ..

وتلقى أشاوس كانوا

وقد أصبحوا

خدماً

يؤمرون فيأتمرونَ

ويلتمسون إشارة هذا الغريب الدخيل

وأنت تمارسُ أقنعة الضيْفِ

لُعبةَ كلّ اللصوص العتاةِ

وتُلقى علينا السلامَ

فيا للزمان الغريب الصفيق !

●●●

الفضاء الذى لا يُحدُّ

الوجود الذى لا يُمَدُّ

السؤالُ الذىْ لا يُردُّ

هو الزمن الغادرُ المتسلّلُ

فينا ،

ووجه انبعاث الرمادِ السَّديمِ

وأنت تُصاولنى وتراوغُ

أنت تقاربنى

وتخادعُ ،

تكسبُ فى خطوتيكَ

اقتراباً ، وبعداً

مراوغةً ،وانعطافاً

تعاودُ..

أرثى

لكل الأولى أُكرهوا

كى يكونوا جُلوساً معك

ها ،

وهم يجهدون لكيلا تلامس أقدامهم موضعك

ها ،

وكيلا تشُمّ أنوفُهمو

عطر هذا الدمار الذى كلما سرْتَ

أقسم أن يتْبعَكْ

هاهمو فى موائد هذا السلام العجيب

يرون الألاعيب منك ،

وأنت تُدبّر صيداً

وتُحكم كيداً

وتشتط جداً

أليس الفضاء فضاءك

والماء ماءك

والزمنُ المستبدٌّ زمانَك

من يملك الآن للبغى رداً ؟

●●●

طللٌ عابرٌ

ورمالٌ تطاير من تحتها جمر ذاك الزمان القديم

وعاصفةٌ فى الضلوع

ودمع من الجَمْر منعقد

وكلامٌ له لغةٌ لا تقول !

وأنت تلاحقنى ..

وتحاول غرس السلام الذى لا ينيلُ

تحاول صيد القلوب التى تستميل

ليمتدَّ فى الشرق مُلكٌ ظليل

ويخلو لك الأوسطى ..

ومن قبلُ

تخلو العقولُ

فكيف نصدق أنك وجهُ الزمان البديلُ

وما بيننا ما تزالُ الدماءُ

الدماءُ التى ما تزال تسيلُ

وما بيننا

قاتلٌ وقتيلُ

وما بيننا

فخٌّ شك ،

وسدٌّ ،

وخارطة تستطيل

وها أنت ، ها

تتوقع منى الذى لا أُطيقُ

يدا لك تمتدُّ ،

أو بسمةً فى العيونِ ،

ولمعْةَ ود تألقُ فوق الجبين

وفنجانَ شايٍ يدور عليه الكلامُ ،

ومتكأٌ لك فى بيت أهلى ..

فيحلو السلامُ

وهذا هو المستحيل !.

إنها تعبر المسافة

لم تعد مستحيلةً ،

إنها تستحمُّ فى نهرها الآنَ

وتُرخى جدائلَ الليلِ

من حول جياعٍ

وفى نهارٍ مراوغْ

ثم تمضى لوجهةٍ

يعلمُ اللهُ مداها

- وقد تجيءُ ارتجالاً -

محفوفةً بالأقاويلِ

- وقد لا يكون ثمةَ ما يُغرى -

وحد السّنان فى القلب والغْ !.

هل تُريدونها ؟

تعالوا ..

أريكم أين كانت ..

وكيف صارت ..

وماذا يتبقى من عطرها

حين تمضى ..

إنها تعبرُ المسافة ما بين انطفاءِ السماءِ فينا

ولهو أرضٍ بأرضٍ

لو رأتْنا .. أغضتْ حياءً

ووارتْ وجهها

عن بشاعة الكونِ فينا

وعن ملاحمِ بغضٍ !

السباعُ العطشى إلى مَرقِ العظْمِ

تنوشُ الذين فى خدر الوهْم

يرونْ الأمانَ ما زال ممدوداً

وحَبلُ الحياة يُرْخَى ويمتدُّ

عَلىَ حَالَتَىْ قَبُولٍ

ورفْضٍ ..

كنسَتهمْ عواصفُ المشهد الدامى

هباءً يطير فى الريح كالذرّ

نِثاراً ..

يرمون بعْضاً ..

ببعْضٍ

لم تعد مستحيلةً ..

إنها الآن تدلتْ

فأصبحت قاب قوسينِ

وغامتْ ..

فلم تعد تتقرأها

عيونٌ منهومة اللَّمْحِ

جوْعى ..

لكنها طيّ غمْضٍ!

حسْبُها الآن أنها وقفت حيث ترانا

وحيث شاء هواها ..

وحيث ضاق مداها ..

وحيث ترنو ..

وتُغضى !.

احتجاج

لقيتهُ يصرخُ فى البرّيةِ

منادياً بالويل والثّبور

عيناهُ كومْتَا لهبْ

وملء شدقيْه نثارٌ من مراجل الغضبْ

ورأسهُ منحدرٌ إلى الوراء

يوشك فوق ظلّه يقع

الخطْوُ يضطرب

واللّغوُ يقترب

وفورة الزحام تغتلى

وتنسحبْ

لكنه - كأنما بلا سبب -

يخوضُ فى عظائم الأمور

والنَّفَسُ المهتاج فى الضلوع يصطخبْ

وتبرقُ العيون حوله ، كأنها رُقعْ

تفحصه ، تُصنفه

سرعان ما تدوسه وتجرفُه

ويستحيل ومضها المندهش المذعور

إلى بُقَع

تنداحُ فى دائرة الفراغ والسكون

لكننى رأيتهُ

كأنما فى ذاته المهملة المنسيَّه

تسكنُ ما تزال

بقية من نفسه الأبيّه

مشرفةٌ على الجنون !

●●●

أمسِ اختفى ،

ولم يعد ..

هل مات ؟

لا يدرى أحد

أم أن حُبْسةً أصابت صوته المشروخَ ،

فانعقدْ

كأنما احتجاجهُ الطويلْ

مضى سدى

من غير أن يزلزل العباد

أَم أنَ شرطة الطريق أوقفوه

حرصاً على نظافة المدينة التى فى عارها

تجوعُ أو تلدْ

مهماً يكنْ ..

فإنْ صوته هناك ما يزال

مختبئاً فى الطلْقةِ المنكتمه ..

والصيحْةِ المنبهمه

يحلم أن يُحرّك البلد !.

الذبح والسكين

« إلى نجيب محفوظ : المبدع والإنسان »

فى البدْءِ كان الذَّبْحُ والسكّينْ !

فهل تحسّسْتَ عُروق الرقبة ؟

وهل تَعَقَّبْتَ دماءً فى الثرى منسكبة

وخافقا منسحقاً

يِنسابُ كالبخار صاعداً من الوتينْ ؟

وخيْطَ ماءٍ من بكاءِ الروحِ

من تملْملِ الشجونِ

فى الفرائصِ المشتبكة !

القشرة التى ظلّت تخالسُ الوجوه ساعةً من الزمانْ

سرعان ما تشققتْ

وانحسر النّقاب

فجلجلت شريعةُ الذئابْ

وانطفأ السلام فى العيونْ !

●●●

يا أيها الشيخُ الذى تئودهُ خُطاه

الطعنةُ التى تخيّرتْكَ عَمّدتْك بالدماء

وجمّعتْ أنفاسنا المذعورةَ المضطربه

وشملَنا البديدَ فى مآدب الكلام !

يا أيها الشيخ الذى تحملهُ عصاه

أىُ ظلامٍ قابعٍ تشقُّهُ عيناكْ ؟

وأىٌّ عطرٍ نافذٍ ينثرهُ شذاك ؟

وأىٌّ فصل فى رواية الحياةِ

لم يزلْ هناك ؟

الدربُ مثلما عرفتَ ،

لا تظنّه اشْتَبهْ

ومثلَما وصفْتَ ،

مَنْ سواك يعرف الداءَ المقيمْ

ملءَ النفوسِ الخربة

ومَنْ سواك يسترد الآن وجْههُ المضئْ

من بين أكوام الوجوهِ الكَذَبةْ

منارةً

لا تشحب الحروف عندها ،

أو تلتبسْ

فلم يعد يُجدى تسكُّعُ على الضفاف

ولا تمسّحُ فى حائط المبكى ولغْوِهِ المبينْ

ولا انتظارُ البركات فى أكفّ الطيبين الحالمينْ

فمنذ غاب الوحى عن سمائنا

وانبتّ حبْلُهُ المتين

ما عَادَ يجدى أن يُقالْ :

اشتعل الغابُ ،

وعربد الجنون !

●●●

هل نحن ذابحوه ؟.

نحن المنافقين والأوغادَ واللصوص ..

والقابعين فى رهان الخلْط والتخليط ، يُفْتُونَ ويَعْبثونْ

والمارقين فى دهاليز الكلامِ ..

أو مباخر النّصوص

والباحثين عن شريحة من جثّة الوطن

ليصْنعوا وليمة الذئابِ

لعلَّها أن تشبع البطون !.

والصامتين ..

لم ينافحوا ..

ولم يُحرِّكوا السكونْ

لكنهم ، بدورهم ، يُراهنون !

. . . .

فى البدء

كان الذَبْحُ والسكّين

وفى الختام ،

كُلّنا المُضرّجُ الطعين !.

وقت لاقتناص الوقت

وهجٌ يسطعُ من ياقوتة الليلِ

ونهرٌ شَبِقٌ يركضُ فى بريّة الحُلْمِ

ووقت صاهلٌ بالرغباتْ !

أنتَ فى المرآةِ ...

والمرآةُ فى عينيكَ

هل ثَمَّ اختلافُ واتفاق ؟

فَأعرْها ما تُعيرُ الريحُ للفوضى

وبادرْها عناقاً بعناق

إنَّ هذا الطللَ الشامخَ

مرصودٌ ..

وفى أيقونة العُمرِ

حياةٌ تتصبَّى

ومَوَات -

والذى يُلقى به النهرُ

أراجيفُ . . .

وفى الشطئانِ ما زالت تئن الصبوات

وهجٌ يسطعُ !

أم فجرٌ من الشكِّ مراوغْ ؟

دَعْهُ - لا بأسَ - يمر الآنَ من خارطةِ الوهْمِ ..

وأطلقْهُ ، كما ينسابُ سهمُ الموْتِ

من قبضةِ صيادٍ

بهذا الليل والغْ

ما الذى يبقى لكى تخسَرَ ..

والموجُ إلى الأعناق بالغ !

لن يعودَ الوجدُ للنهرِ

ولَن ترجع للقلب النبوءاتُ

ولاالنخلُ الذى طالَ وشيّخْ

قادرٌ أن يحْنِيَ الهامَ

ويرتدّ وئيداً

مُثقَل الخطْوِ

يُعزّى فى جناز الريحِ

فالموتُ الذى نلقْاهُ

موتٌ مُحكمُ الأطراف سابغ !

فتدثرْ ..

قبل أن يزحفَ فى القلبِ

شتاءُ العُمْرِ ..

والليلُ يُبالغْ ..

إنه وقتُ اقتناصِ الوقتِ

إطلاقِ الخيول الدُّهْمِ

فى قلب فضاءِ النزوات !

وتلفَّتْ ..

ليس ، ما ترجوهُ من حولكَ -

والفائزُ فى الحلْبةِ

عِنّينٌ

يسوقون إليه الكلمات !

لؤلؤة المجوس

فى شبق الأرضِ ،

وفى لؤلؤة المجوسْ

قصيدةٌ مريبةٌ تجوسْ

طلٌّ يذوبُ ،

دمعةٌ تنهلُّ

ماردٌ بثقْله يدوس

وجثثٌ تطيرُ فى الهواءِ

تحتها تحملقُ الرؤوس

من أنتَ يانجْماً يُطلّ

مثلما تختالُ فى جلْوتها عروس ؟.

نذير شؤم أنْتَ ؟

أ وشايةٌ

أم صاحبٌ أنيس !

وما الذى يُطلُّ فى يديْكَ ؟

حرْبةٌ

أم وردةٌ ميتةٌ ..

تعافها النفوسْ ..؟

حذارِ يا نجمُ ...

ففى المدار ضجةٌ

وفى زحام القومِ ..

قاتلٌ يئوس !

●●●

فى شبقِ الأرضِ

وفى تعاقب الفصول

ثمَّ نهارٌ واسعُ

وثم صدرٌ واجفُ

وخطوةٌ ملول

وساحةٌ ..

لذلك الذى يقولُ وهو لا يقول !

وأنت كونٌ هائل ..

ونقمةٌ توقدتْ ..

وعالمٌ ملول

وأنت وحدك الإلهُ والتبيعُ والرسول

مندفعٌ فى لغةٍ ..

يمشى بها الفضول

عجّلْ

طقوسُ الذَبح قد هاءت

وهذى ساحةٌ ...

ولا دليل ..

الوقت شاخصٌ

وأنت شاهدٌ

وقاتلٌ .. قتيل !

والزمن المحنىُّ غائرُ الخُطى

مرتطمٌ بغيرهِ

وحائطٌ يميل

هل أنت مَنْ أحببْتَ !

واستجرْتَ

عندما عَبَرْتَ

وانطفأتَ ..؟.

أم تُراك ظلٌّ خادعُ

وموعدٌ مُراوغٌ

ولا سبيل !

تراجع

أتجوّلُ في ذاكرتي

أتراجَع ؟

- لا أنوي أن أتراجع -

يهدُلُ في سمعي صوتٌ ملتاع

وترفرفُ أجنحةٌ لطيورٍ غاربة

ويغيبُ شعاع ..

أستغرق ...

لا أنوى هرباً ..

وفراراً من أسنِ الكونْنِ

مذاقِ اللحْظة

طعْمِ الخيْبةِ

أو إحساسِ ضياع

لا أنوى ...

أنوى أتراجعُ

حيث براءة حُلمٍ ونُدت ..

هل تنفخُ فيها من روُحك ؟

تبعثُ فى الأعضاء حرارتها

فيسيل الماءُ !

وتصهل - فى الصدر - الأشياء

هل أنت جديرٌ بالمسْعى

وطوافِ البيْتِ

وحمل الصخرةِ باستمتاع ؟

مِثْلك لا تُربكه الفوضى

لا يقهره شجنُ الناسِ

ولا يُغْرِيه أيٌّ قناع ..

فاغرز سكينك فى لحم الليل العارى

ناولنى بعضاً مما أعطاك الله

واسكب خمرك فى كأسى

وتولَّ بعيداً عنى

- كى لا أنظر فى عينيكَ -

فأجبنَ

أو أتراجعَ

لا ،

لا أنوى أن أتراجع

ثَمَّ طريقٌ يفضى

ونهاياتٌ أقربُ مما أمَّلت

ووجهُ يقبعُ فى ذاكرتى

أنهضُ

هأنذا أتقدمُ

لا أتعثر ..

أخطو ..

ماذا .. !؟

ثَمّ فضاءُ يُعْولُ فيَّ

أزيزُ رياح غضبى تسْكننى

وَصرير يُعلن عن أبواب راحت ترتج

وتوشك أن تتهاوى

أعدو مذعورَ الخطْوِ

وأُحكمُ من نافذتي

أدركُ أني منسحبٌ

خاوٍ

أتكففُ بعض فتاتِ الوقْتِ

. . . .

وأفقدُ ذاكرتي !.

انشطار

فى عصر الانشطارْ

ها أنت طرْفُ حائرٌ

شَتَّتَه المدار

وكلما استدار ناشراً قلاعهُ ،

أو مغمداً فى صدر حُلمه اليدا

أصابه الدوار !

فهل مضى اليقينُ ، حينما احتسبتَه - سُدى ؟

وهل توقْعت زماناً أسودا ؟

عليك أن تراجع الذى عرفْت

وأن تجاوز الذى أدمنْتَ فاسترحْت

وأن تغوص فى البحار

أو تطير صُعُداً

بحثاً عن الذى فقدْته ، أو اكتسْبت

من قبل أن تصير بدداً

لأن فى نصْفيْكَ

- حين انشطرا -

جرثومة الدمار !.

●●●

ترفُضُ ما تُحبُّهُ

تُحبُّ ما ليس موافقاً هواكَ

أو مُتابعاً نجمَ سُراك

ها أنت بين اثنين :

نشوةِ الجنون ،

وانكسارةِ الهلاك ..

هل حكمتان حكمتك ؟

وخُطوتان خُطوتك ؟

لا تستريحان إلى نهاية

أو تُفضيان - مرةً - إلى قطيعة مؤكدة

تحميك من ترددٍ

ومن عراك ؟

فما الذى دهاك ؟

أدمنْتَ هذا الفخ من تقلب المزاج ..

وأنت فى المابيْنَ ..

يستهويك صيَّادُ

وتُدميك شِباك ..

وحينما أويْتَ للفراش ،

حينما أحكمْتَ خلفكَ الرتاج

وانبطحت رغائب عاتية مدمرة

كانت تنوشُ فى دمك

كأنها أزيز حائطٍ من الزجاج

ينهار تحت قبضة الفولاذ

أو تناطح الأفلاك ..

تنهار فيك حكمةٌ لم يدرها سواك ..

هل كنت عارياً ؟

فخفْتَ من نُجيْمة رصينةٍ تراك ؟

●●●

لا تكتئبْ ..

دعْ عنك ما يُريبُ من دوائر الخجلْ

وسترِ ما تظنُّه الفضيحة ..

فكلّ ما تفعلهُ ، يفعلهُ الجميع

لا الآبقُ الوحيدُ أنْت ..

ولا الذى عيناهُ فى الجنَّة والنارِ معاً

الآخرون - مثلما عهدتَهم - منشطرونَ

فارغونَ

زائفونَ

والغُون فى الفضائِل القبيحة !

يسعوْن سعيك الحثيث لالتهام هذه الذبيحة

والفوز باللذائذ المحرّمة

فمن يعفُّ ؟ لا أحدْ

والعاجزون استسلموا للحكمة المريحة ! .

●●●

أحلمُ باكتمال تلك الشجرة

هذا التوحد الحميم فى وداعة النَّسيم وانطلاقةِ العواصف

والنَّزق المشبوب فى عُروقها

يمور مثلما تدمدمُ القواصف

سَكينةٌ مريبة ، ودمدمة

وفورةٌ عتيّةٌ ، وهينمة

وأنت فى ظلالها مُلتحفٌ ، ومرتجفْ

تظنها مُتَكأً ..

ما عاد يُجدى الاتكاء

ولا انحناءة فى فيئها الممدودِ

باحثاً للقلب عن سقيفةٍ ، وعن غطاء

وللعيون المشرعاتِ ،

عن سَكينةٍ ، وعن صفاء

وحين أسدلتْ شُعورها

وانساب صفصاف ينام وادعاً على الكتف

أدركْتَ ما بين السحاب والبروق

ما بين جلْوةِ الغروب والشروق

ما بين سكْرة الصَّبوح والغَبوق

من حكمةٍ جذْلى

يئُودها التَّرف !

ومن تناغم يزفه الثرى إلى السماء

فى صدر عاشقٍ يداه تغرقان فى الدماء

ونجمةٍ قتيلة

أودى بها الحياء !

مَنْ يوقفُ الحمَّى

ومن يصادر الرجاء ..

ومن يُطامنُ الغُلوَّ والصّلف ؟.

وهو الذى لم يقض منها وطره !.

ولم تَزلْ مساحةٌ لطائرٍ أو حشرة

يولدُ

أو يموتُ

فى اكتمال تلك الشجرة !

ممعن في اليقين

داخلٌ فى يقينهِ

كلّما أوْغَل ..

فاضت سماؤهُ بالعطايا

تستضىء الحروفُ من قَبسٍ منهُ ،

وينثالُ برقُهُ كاندلاعِ الجمرِ

شبّتْ نيرانهُ ..

فى الحنايا ...

رحمُ الأرض مائجٌ ...

والذى يسكن فيه

مُشوهٌ ،

وانتسابُ السماءِ ما عاد يُجديهِ

« الثريا » تناثرت

و « سُهيْلٌ » فى ساعة النَّزْعِ مخنوق

وفى الأفُقِ هاجسٌ ...

وشظايا

فى عروق الشتاءِ تنتفض الرغبةُ

حُبْلى

وتستفيقُ أساطيرُ عِجافٌ ..

وشاعر القوم أعمى :

ربابةٌ وحكايا

هاك وقت اليقين ..

لا تسألِ الآنَ ..

ولا تعترفْ بغير خطاياكَ ..

فالأرض مملوءة بالخطايا

أىَّ ماءٍ وردْتَ ؟

أىُّ طريق سرْتَ فيه ؟.

هذى دروب القهر تسْعى

محفوفةً بالمنايا

لا تُشحْ ..

واستدرْ إليها

وبادرها بطعنٍ ..

لكى تشق الخفايا

واتخذ من ظلال رمحكَ إيقاعاً

ومن جلوةِ السّنانِ مرايا

وانتبهْ ..

إنَّ فى أصابعك الجمْرَ

ومن حولك غاصت مدائنٌ

فاستحالت . .

جوارياً وسبايا ..

●●●

شجنٌ نازفٌ

وعزف على أوتار دُنياك مشدودٌ ،

وفى قبضة ريحٍ

تجمعت كل فجاجِ الأرضِ

سُدّتْ جميعها فهى تُقصيك

فتنأى

وفى صدرك يُقعى مُضَرَّجٌ

يتعايا !

هل تُقيمُ الحداد ؟

لا القوم يبغونَ ...

ولا أنت طليقٌ

ولا السَاحة تُغرى

ولسْتَ تدرى النّوايا

ممعنٌ فى اليقين

هيهات يرضيك احتمالٌ ..

وتستْبيكَ مواعيدُ

لها طعْمُ افتضاض السرّ

ها أنت مُنهكاً قد حملْتَ الكوْنَ

وسّدْته فوق قَرْنيْكَ

وفاخرْتَ ..

من تفاخر ؟

هل تدرى ؟

جماجماً – ..

وضحايا !

ليتنى أرتضى الذى قد تعشَقْتَ

وأمعنْتَ لديهِ

غوايةً ...

وانعطافاً ..

كنتُ أعليْتُ رايتى ..

وركزتُ الرمْح حولى

وقلتُ للريح هُبّى

فلن تعوقى مدايا

كنت أطلقتُ ما تَكتَّمْتُ

فانهارت سدودُ ...

وحلّق البَّوح فى الجو

نسوراً تخطّفت عُصَبة الإفّكِ

وطوفان رجومٍ

يَجتثُّ هذى الرزايا

ليتنى

ليتنى

فهل أملك الآن يقيناً

- كما ملكتَ -

وحرْفاً مستبدا

وشاطئًا

ونهاية !.

عاشق اللون

هل لأنك مختلفٌ

لم تشأ أن يضمّك هذا السكونُ البليدُ

الذى ضمّنا

فانتويْت الرحيل ؟

أم لأنّ يديْكَ

- اللتين تجسّدتا فى فضاءِ الغواية

فامتلكتْك النهاياتُ -

شاغلتاكَ

فحلّقْتَ تنشدُ

حُلْمَ السكون الجميل ؟

أم هو اللونُ طارحكَ العشْق

حين تصبّتْك عيناهُ

أغواك أن تستقلَّ الفراغَ

وتبحث فى دارةِ النجمِ

عن مرفأٍ ..

أو مقيل ؟

لم تكن واهمًا ..

حين عاينْتَ وجه الفسادِ

فأشعلْت فى الكون نار الجمالِ

وأضرمْتَ فى الكائناتِ اشتهاء التحولِ

والحلم بالمستحيل !

فى يديْكَ الخلاصةُ ..

هل تريدُ طريقًا إلى الحُلْمِ ؟

إن الجمالَ الذى يحتويك

هو المرتقى

حين تُزمعُ ..

وهو السبيلْ

يا خليلى الذى لم يُتَحْ لى اكتناهُ فضاءاته

أو قراءةُ أوراده

وهو يسكبُ فى لغة اللونِ

معزوفةً

وانتفاضة قلب عليل

كنت أحسبُ أن الذى نشتهى

أمدٌ قادمٌ ..

والذى ننتويهِ

زمانٌ طويل !

حين أسلمْتَ للريح وجْهكَ

وابتلعتْكَ المسافةُ

هل كنت مغترباً .. بيننا ..

فامتطيْتَ المدى

باحثا عن بديل ؟

ممعنٌ أنت فى جَلواتِ الصعودِ

وفى دوران الشموسِ

فمن يستطيع إليك الوصول ؟

أنت مستغرقٌ ما تزالُ

ومندمجٌ فى العناصرِ

محترقٌ بالجمال

ومنبعثٌ فى الفُصول !

وجه الكون

لا الليلُ ليلٌ حقيقيٌّ

فنخشاهُ ..

ولا النهارُ .. نهاريٌّ

فنَحْياهُ

وبين هذين .. تيهٌ مدَّ قامتهُ

واستحكَمتْ فى نواصينا مراياه

ظلٌّ على الأُفَقِ

ممدودٌ ومرتعشٌ

وخافقٌ يصطلى .. ترتجُ شكواهُ

لا الليلُ ليلٌ.. فَنأوِى

ثمَّ مُتكأٌ

وثَم مدفأةٌ ،

وسامرٌ جاهزٌ

صُفَّت حكاياهُ ..

نحن العراةُ

تُغطينا وتسترُنا صفائحُ الليل ،

تُغوينا خفاياهُ

نُفضى إليهِ

فَبابُ السرّ مُنفتحٌ

والمتعبون حيارى فى زواياهُ

قفرٌ هو الليلُ ..

خاوٍ

شائهٌ أبداً

ومُعتمٌ وجههُ الكابى ..

فهل أذنت عيناهُ بالدمعِ ؟

إن الدمع تيّاهُ ..

ليلٌ وَيَمْضى

وليلٌ قادمٌ أبداً

وساهر لم يعدْ فى الليل مأواهُ

الصحو ينفخُ فينا بعض جلْوتهِ

وفى العروق شظايا من حُميّاهُ

الصحوُ موعدنا يا ليلُ ،

دَعَ جَلَدى

ودعْ مسيرة يومٍ سوف ألقاهُ

كابوسُكَ الأطلسيً السَّمتِ مفترسٌ

كالأخطبوط ،

قد التفَّت ذراعاهُ

ما عُدتُ وحدى

وقد أقبلْتَ متئداً

مستوثقَ الخطوِ ..

والأهوال أشباهُ

ضيفاً ثقيلاً ..

ويأبْانا

ونأباهُ

فانفُضْ عباءتكَ الشوهاءَ

يا ليدٍ تسْعى

وعيْنٍ لم تَنمْ كمداً

ورفٌ وعدٌ قديمٌ

هل نُلقّاهُ ؟

فى جوفنا الملح يغلى

وهاتفُ من فضاء الروح منطلقٌ

ونستميتُ ..

فوجهُ الكونِ فى حجرٍ

يُشعُ فينا ..

ويشقينا مُحيّاهُ !

هو الليل

هو الليلُ :

صوتى ،

ونُطقى وصمتى

وميلاد وقتى

وريحانتى

وانطلاقةُ زهْوى

وأرجاءُ بهْوى

إذا ما رحُبْتُ اتساعاً لهذا الوجود

فمارستُ لُعبة صحوى ،

وموتى

وموسم نولْى

وفوْتى

وإيقاع عُمرى الجديد !

●●●

وينطلقُ الحُلمُ ..

تزهو الفصولُ

وتغتسلُ الأرضُ

هذا ربيعُ الحقولِ

وهذا أوانُ العناقِ

ولفحُ ائتلاق الزمان الجميل

وناهدة من عذارى القرنْفلِ

تنصُبُ فخَّ الشباكِ

لذوْبِ النسيم العليل

وتُحكمُ شدَّ الإزارِ

لمتكأٍ ..

عند ومض الشروق

ومُغْتَبقٍ..

فى ضفاف الأصيل

هو الليلُ يُفصحُ..

فى لغةِ العطرِ

فى قـطرة الطلّ

فى فَوحَانِ الرّغائبِ

مُشعلةً صَهْدَها

فى جُذوعِ الصبايا

وصدرِ النّخيل!.

●●●

هو الليلْ

طاشت خُطى الكائناتِ

وأعْولَ عزْفُ الرياحِ

وفاضتْ دموعُ النجومِ

وطارت حكايا القرنْفلِ

وانداح رجع النداء الطويل

ومازلْتِ غائبةً

والفضاءُ حصارٌ ومنْفى

وهذا الزمانُ البخيلْ!

هو الليل

أشرعةٌ أُحكمت للرحيلِ

وفاكهةٌ مشتهاةٌ

ووجهٌ جميلٌ تناءى

وما من دليل !

وجه لا يطمسه غياب

كلَّ شعابِ الأرضِ تُراوغُهُ
- لا يكترثُ ولا يتراجعُ -
وهو يُغذّ خطاهُ
ويسبقُ صحو الطيرِ
لوطنٍ ناءٍ

ومدًى أبعدَ مما كان يظنُّ

وحلمٍ لا يتحقّقُ

لكنْ

كانت عيناهُ تروادانِ خبيئاً

يوشكُ أن يتشكّلَ

لَمْعَ سرابٍ

قِربَة ماءٍ ،

أو صحراء ..

يلدُ الوقتُ بديلاً منهُ ،

وتُبحرُ فى الظنّ الأشياء

ويظلُّ يراودهُ المجهولُ

وتقفزُ بين يديْه الصّبواتُ

وتصهلُ فى الذاكرة الرّغباتُ العجْلى

وتئنُّ الأعضاء

ها قدرُك مرسومٌ فى طوْقِ حمامـةَ

أو مدفونٌ فى بطن الحوت

أو سارٍ حيث تجوبُ العاصفةُ الفَلواتِ

وحيث الذرُّ السابح فى الريح

فانظرْ قَدرَك ..

واتبع هذا النجم التائهَ

حيث يغيب

وحيث يلوحُ !

أُمسك بزمامِ اللهبِ الجامحِ

حتى لا يشتعل العمرُ

وأغلقْ نافذةَ الأسماءِ

فوجهُ الزمنِ قبيح

مِثلكُ لا يُبعدُ عن غايتهِ

فارحلْ ..

هذى أرضُ الجذْبِ

وهذا الغيثُ شحيح

واحملْ ..

- فيما تحملُ من تذكاراتكَ

وجهاً

لم يطمسْه غيابٌ

لا تُلغيه شواغلُ

أو تُقصيه مغانمُ وفُتوح ..

يسطعُ فى لحظاتِ اليأسُ

ويورقُ فى صحراءِ العُمرِ

ويمسحُ من وجعٍ

وجروح ..

لولاهُ ،

ولولا بعضٌ منه تسرَّب فيكَ

ملامحَ ،

نبض خلايا

رفّة رُوح

كنْتَ ضللت المسْعى

عفْتَ العيْشَ الخاوىَ

ما بين شتاتٍ

ونُزوح !

صدر للشاعر

(أ) دواوين شعرية :

١ - إلى مسافرة (الطبعة الأولى ١٩٦٦ ، الطبعة الخامسة ١٩٩٣)

٢ - العيون المحترقة (الطبعة الأولى ١٩٧٢ ، الطبعة الرابعة ١٩٩٠)

٣ -لؤلؤة فى القلب (الطبعة الأولى ١٩٧٣ ، الطبعة الرابعة ١٩٩٠)

٤ - فى انتظار ما لا يجئ

(الطبعة الأولى ١٩٧٩ ، الطبعة الثالثة ١٩٩٠)

٥ - الدائرة المحكمة (الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، الطبعة الثالثة ١٩٩٠)

٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد الأول)

(الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، الطبعة التانية ١٩٨٧)

٧ - لغة من دم العاشقين

(الطبعة الأولى ١٩٨٦ ، الطبعة الثانية ١٩٨٧)

٨ - يقول الدم العربى

(الطبعة الأولى ١٩٨٨ ، الطبعة الثانية ١٩٩٢)

٩ - عشرون قصيدة حب (الطبعة الأولى ١٩٨٩)

١٠ - هئت لك (الطبعة الأولى ١٩٩٢)

١١ - سيدة الماء (الطبعة الأولى ١٩٩٤)

(ب) دراسات و مختارات :

١ - لغتنا الجميلة (الطبعة الأولى ١٩٧٣ ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢)

٢ - أحلى عشرين قصيدة حب فى الشعر العربى

(الطبعة الأولى ١٩٧٣ ، الطبعة السابعة ١٩٩١)

٣ -لغتنا الجميلة ومشكلات المعاصرة

(الطبعة الأولى ١٩٧٩ ، الطبعة الثانية ١٩٩١)

٤ - أحلى عشرين قصيدة حب فى الحب الإلهى

(الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، الطبعة الثانية ١٩٩١)

٥- العلاج بالشعر

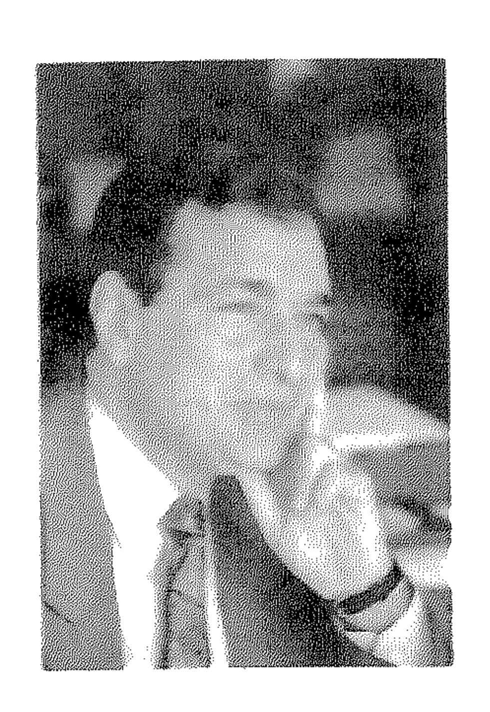
(الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، الطبعة الثانية ١٩٩٤)

٦ - مواجهة ثقافية (الطبعة الأولى ١٩٨٩)

٧ - عذابات العمر الجميل (الطبعة الأولى ١٩٩٢)

فهرس القصائد

رقم الإيداع ٩٦/٣٠٦٠
I. S. B. N 977-215-187-1



وهجٌ يسطعُ من ياقوتةِ الليلِ

ونهرٌ شَبِقٌ يركضُ في بريّةِ الحُلمِ

ووقت صاهلٌ بالرغباتْ !

أنتَ في المرآةِ ...

والمرآةُ في عينيكَ

هل ثمّ اختلافٌ واتفاق ؟

فاّعرها ما تُعيرُ الريحُ للفوضى

وبادرْها عناقاً بعناق

الثمن ٣٥٠ قرشاً

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة